قصص أملٍ جديدة من العالم العربي

نازحو سامراء ينشدون الأمان ودلفى تداوي برد لبنان

دبي - الزمان

منذ إطلاقها مطلع آذار2019 نجحت مبادرة "صناع الأمل" في اجتذاب عدد كبير من المشاركات من شباب وشابات من مختلف أنحاء العالم العربي يتطلعون إلى المساهمة في نشر الأمل وصنع تغيير إيجابي. حتى اليوم، تلقت مبادرة "صناع الأمل" آلاف قصص الأمل من أفراد ومجموعات، لديهم مشاريع ومبادرات، يسعون من خلالها إلى مساعدة الناس وتحسين نوعية الحياة أو المساهمة في حل بعض التحديات التي تواجهها مجتمعاتهم. وتسعى مبادرة صناع الأمل إلى نشر قصص ملهمة من العالم العربي لأشخاص كانوا مصدر إلهام للآخرين الذين يتطلعون إلى تغيير مجتمعاتهم نحو الأفضل، نستعرض بعض القصص التي تفتح نافذة أمل وتفاؤل وإيجابية في عالمنا العربي.

القصة الأولى:

على النازحين الأمان في سامراء

لم يطق علي فرحان السامرائي رؤية إخوته في وطنه العراق من النازحين عن مناطقهم وبيوتهم طلباً للأمان في مدينته سامراء يفترشون الأرض ويلتحفون السماء مع عوائلهم وأطفالهم دون مأوى يظلهم أو عون يقيل عثراتهم. فما كان منه إلّا أن بادر إلى افتتاح مركز تطوعي في سامراء لاستقبال وإغاثة النازحين وتمكينهم من سبل الحياة الكريمة لهم ولأبنائهم حتى حلول موعد عودتهم إلى مناطقهم سالمين آمنين. وبعد أن رأى المؤسسات الاجتماعية في المدينة ترزح تحت ثقل أعداد أفواج من تقاطروا عليها من مختلف المناطق في العراق، تطوع مع كثيرين من شباب وأبناء وطنه إلى تأسيس المركز استجابة لاحتياجات النازحين وتنسيق توزيع مساهمات المتبرعين والمانحين من المؤسسات المحلية والدولية، وحصر الأعداد الدقيقة للعوائل التي يتولى المركز مد يد المساعدة لها. واستطاع المركز بفضل تضافر الجهود التخفيف من آثار النزوح في المدينة اجتماعياً ومعيشياً، ودمج العائلات النازحة وتمكينها عبر توفير العديد من فرص العمل لها بالتعاون مع الفعاليات الاقتصادية والمجتمعية في المدينة، فضلاً عن دعم إلحاق الطلبة النازحين بمدارس المنطقة. وتعاون متطوعو المركز والمساهمون فيه والداعمون له على إنجاز مشاريع نوعية لخدمة النازحين، لم تقتصر على استقبال الحالات المرضية الطارئة أو توفير الخدمات الأساسية من مياه الشرب النظيفة والحصص الغذائية والكساء بل شملت أيضاً الخدمات الصحية العامة والتعليم والأنشطة الشبابية وتمكين أصحاب الهمم. كما يطلق المركز مبادرات موسمية مثل الحقيبة والكتب المدرسية، والزي المدرسي، وكسوة الشتاء والصيف، وكسوة العيد، والسلة الرمضانية، وتوزيع وقود التدفئة، والتكفل بمصاريف طلبة من النازحين في جامعة سامراء. ويشارك المتطوعون في تقديم ورش تدريبية متكاملة تحقق التنمية البشرية وتطور قدرات النازحين ومهاراتهم التي تؤهلهم لإيجاد فرص عمل أو امتهان حرف أو إطلاق مشاريع صغيرة توفر لهم دخلاً. كما يوفر المركز مساعدات صحية وطبية للمرضى وأصحاب الهمم من النازحين، وتشمل إنشاء العيادات الطبية وتطعيم الأطفال وتركيب الأطراف الصناعية وتوفير الكراسي المتحركة وتقديم الأدوية. ويأمل علي أن يتواصل هذا المشروع الذي أعاد الأمل للنازحين بالقيم الإنسانية التي تجمع أبناء الوطن الواحد بغض النظر عن الانتماءات والخلفيات، بعد أن نجح خلال خمس سنوات في جمع أكثر من 2 مليار دينار عراقي لمساندة أكثر من 800 ألف شخص من خلال أكثر من 60 مشروع شارك فيها متطوعون من مختلف أرجاء الدولة قدموا أكثر من 43 ألف ساعة تطوعية من وقتهم وجهدهم لخدمة النازحين وإسعادهم. كما يتطلع السامرائي إلى توسيع إطار مبادرات المركز لتشمل التأهيل النفسي للأطفال ممن تعرضوا لتأثيرات النزوح والحرب، لدمجهم بشكل إيجابي في مجتمعاتهم التي أصبحوا فيها، بالإضافة إلى توفير مشاريع تنموية تساعد العائلات النازحة على تحقيق الاكتفاء سواء في سامراء أو في مناطقهم التي يعودون إليها بعد أن تستقر.

القصة الثانية:

حملة تكافل مجتمعي في لبنان

"دفى" تداوي البرد بالعطاء

حين يكون العطاء عابراً للهويات والمناطق والعقائد والانتماءات والاختلافات الثقافية والعرقية والمناطقية، يشع الدفء، وتنهض قيم التلاحم والتكافل المجتمعي، وترتفع هامة التضامن والتعاطف الإنساني الحقيقي سداً منيعاً في وجه عواصف العوز وغيوم الحرمان وصقيع الفقر الذي يلبّد سماء الحياة الكريمة. وفي لبنان، انطلقت مبادرة إنسانية عام 2015 بعنوان "حملة دفى" بدأتها آنذاك الإعلامية اللبنانية بولا يعقوبيان، بمشاركة 100متطوع، لتخفيف آثار البرد عن المحتاجين في لبنان من مختلف المناطق والجنسيات والعقائد وتقديم بعض المواد الغذائية والأساسية لمساعدتهم على نوائب الشتاء. وتمثل المبادرة إحدى الاستجابات الإنسانية العديدة التي شارك بها المجتمع اللبناني للتصدي لصعوبات الأوضاع الاقتصادية التي تعاني من ضائقتها فئات عدة، كما تأتي في إطار تفاعله مع استقبال البلد، الصغير بمساحته، الكبير بحضوره الإنساني، مئات آلاف النازحين ممن اضطرتهم النزاعات إلى ترك بيوتهم وممتلكاتهم وأرزاقهم حفاظاً على أرواحهم وأرواح أطفالهم خلال العقد الحالي، لكن "حملة دفى" تتميز عن غيرها من المبادرات بإتاحة المجال أمام الجميع من الأفراد والمؤسسات على المستويات المحلية والإقليمية والدولية للمشاركة في الحملة لمد يد العون والمساندة للمحتاجين في موسم البرد. وتحت شعارها "من خيرك ساعد غيرك"، تفسح الحملة المجال لكل الراغبين والخيرين لمنح الدفء وصناعة الأمل لعشرات آلاف المحتاجين في موسم البرد في لبنان، وهي في عامها الرابع تواصل التوسع لتوفير البطانيات والملابس الشتوية والسلال الغذائية والمواد الأساسية التي تحتاجها عائلات من الفقراء والنازحين المقيمين على امتداد الجغرافيا اللبنانية دون تمييز أو تفرقة. وتعمل الحملة منذ انطلاقها على استباق موسم البرد بإعداد قوائم بالأسر والأفراد الذين يحتاجون إلى الدعم والمعونات والمساندة لمواجهة فصل الشتاء، ويعمل متطوعو الحملة في المناطق اللبنانية على حصر احتياجات كل أسرة من الأغطية والثياب والغذاء. وتستثمر الحملة منصات التواصل الاجتماعي بما تشهده من سعة النشاط وسرعة الحركة في حشد الدعم المادي والمعنوي والمتطوعين للمبادرة من مختلف الأوساط خاصة مؤثري التواصل الاجتماعي والفنانين وأعضاء البعثات الدبلوماسية والمنظمات الدولية، كما تقيم الفعاليات لجمع التبرعات العينية بشكل مباشر في المناطق العامة في العاصمة اللبنانية بيروت والمدن اللبنانية الرئيسية. وقد وصلت الحملة إلى عشرات آلاف العائلات والأسر في مختلف المناطق حتى تاريخه، وتمكنت حتى عام 2018 من مساندة أكثر من 180 الف أسرة، في ظل مشاركة كثيفة من فعاليات خيرية ومؤسسات اجتماعية وإنسانية محلية ودولية، وبدعم من شخصيات ناشطة في العمل العام والأوساط الثقافية والوسائل الإعلامية.

القصة الثالثة:

"بسمتكم بتهمنا" تبهج وجوها فلسطينية اشتاقت الفرح

التطوع يصنع فرقا في كل المجتمعات، وهو دليل على حيوية الشعوب، وقدرتها على الحياة. وفي فلسطين، اجتمعت 45شابة فلسطينية من مختلف مدن الضفة، على حلم تعبر عنه رسالة واحدة هي: "نحلم بأن نكون البسمة الدائمة على وجه من يستحقها، وحاجتنا الوحيدة هي أن نبقى ذوي بصمة تحمل خيراً للمجتمع، نحمل رسالة بقلوبنا قبل عقولنا لكي نصل إلى قلب من يحتاجون هذه البسمة." وتنفذ الشابات من خلال مبادرة "بسمتكم بتهمنا" أنشطة تطوعية عدَّة تستهدف فئات مختلفة من المجتمع، لهدف وحيد هو رسم البسمة على وجوه جافتها الفرحة. وتتحدث نسرين الصرص (22 عامًا) عن بداية تأسيس المبادرة، فتقول: "بدأت الفكرة من منظوري للخير، واعتبرت أنّ رسم البسمة على وجوه تحتاجها هو جزء أصيل من عمل الخير الذي ينقص مجتمعنا". وبالفعل بادرت نسرين إلى طلب المساعدة من صديقاتها في الجامعة، لتأسيس فريق تطوعي يُنفِّذُ أنشطة ترفيهية واجتماعية للفئات المحتاجة كالأطفال، وذوي الإعاقة بشكل خاص، وكذلك دور رعاية المسنين والأيتام والجمعيات الخيرية والمراكز والمؤسسات والمستشفيات والمدارس، وغيرها من الأعمال التطوعية التي من شأنها أن تخدم المجتمع، كزيارة أهالي الأسرى وتكريمهم ودعمهم من الناحية المعنوية. وأرادت نسرين أن يقتصر الفريق على النساء الشابات لإبراز دور المرأة وعطائها في المجتمع، وخاصة الدور القيادي للمرأة الفلسطينية، فالفتاة الفلسطينية تستطيع أن تتحدى قيود المجتمع والصورة النمطية المرسومة عنها في الأذهان، وهي أنها لا تصلح إلا لأعمال المنزل.

وبطبيعة الحال لم يخل الطريق من الصعوبات، فمنذ تأسيس "بسمتكم بتهمنا" سنة 2018 واجهت صعوبات عدة، من أبرزها التنسيق مع الجهات الرسميَّة ومخاطبتها، ومعرفة الأصول المتبعة في كلِّ مؤسَّسة، إضافة إلى عدم توفر جهة داعمة ماديا، حيث أنّ عمل الفريق يقوم على التبرع الشخصي من أعضاء المجموعة، ورغم ذلك فإن ما يشجّع الفتيات على الاستمرار هو الأثر الإيجابي في نفوس الفتيات المشاركات بالأنشطة التطوعية، وتوضِّح أنوار أبو عيشة إحدى المشاركات في المبادرة الأثر الإيجابي لتطوعها مع الفريق الذي ساعدها في بناء شخصيتها وإزالة حاجز الخوف. وتشعر أنوار بالرضا عن نفسها عندما ترى أثر الأنشطة على الأطفال، وساهم ذلك بتعزيز ثقتها ومكنها من الاعتماد على نفسها بشكل أكبر، وزاد من إيمانها بقدرتها على العطاء والإنجاز.

ولم تقف الصعوبات عائقًا أمام طموح نسرين وزميلاتها، وحصدن ثمار مبادرتهن برؤية البسمة ترتسم على وجوه الأطفال والمسنين والمحتاجين، تقول رائدة المصري مديرة اللجنة المحلية لتأهيل ذوي الإعاقة بمخيم العين في مدينة نابلس: "نفَّذت مجموعة "بسمتكم بتهمنا" نشاطًا ترفيهيًا لأطفال التوحد، وكان نشاطًا مميزًا خاصة أنَّه جاء بمبادرة ذاتية من المجموعة وبشكل تطوعي نابع من رغبة المجموعة في إسعاد هؤلاء الأطفال، وساهم النشاط في إخراج الأطفال من حالة العزلة وتغيير الجو الروتيني الذي يعيشون فيه، كما ونفَّذت المجموعة أنشطة ترفيهية للطالبات في مدرسة المخيم، وتأمل المصري عودة مثل هذه المبادرات للمجتمع الفلسطيني؛ لأنَّها تترك أثرًا إيجابيًا على نفوس المشاركين والمستفيدين على حدّ سواء، وتمنَّت لو أنَّها تستطيع المشاركة مع الفريق في تنفيذ الأنشطة لما تركه من انطباع مميز لديها.

نشاط تطوعي

ونفَّذت "بسمتكم بتهمنا" نشاطًا تطوعيًا في جمعية الهلال الأحمر بنابلس، كما أوضحت علا أبو ضهير مديرة مدرسة التربية الخاصة في الجمعية مضيفة: "كانت المجموعة مميزة جدًا أدخلت البهجة على نفوسنا وعلى نفوس الأطفال، فمجرد وجود مجموعة تقوم بكل هذه الأنشطة بشكل تطوعي مؤشر إيجابي على بقاء الخير في المجتمع وانتشاره"، وتخلَّل النشاط رسم على وجوه طلبة مدرسة التربية الخاصة، وتوزيع الألعاب والهدايا عليهم، وأكَّدت أبو ضهير على أنَّ هدف هذه الأنشطة ليس فقط الترفيه، رغم أهميته لهذه الفئة، إذ تسهم مثل هذه الأنشطة في تعديل سلوك الأطفال ودمجهم وتفاعلهم وحب التعاون والتواصل الاجتماعي. وتشارك مبادرة "بسمتكم بتهمنا" حاليًا بمسابقة "بهمتنا غير" لدعم المجموعات الشبابية في محافظة نابلس برعاية "بالتل" وبالشراكة مع محافظة نابلس، ووزارة الثقافة، وبلدية نابلس، والمجلس الأعلى للشباب والرياضة، وبتنفيذ نادي الإعلام الاجتماعي.

اصنع أملاً... اصنع فرقاً

تجمع الناشطين في لبنان لمداواة البرد .

نماذج من قصص الأمل تعرض صورها في دبي

العراق كوكب تدور حوله الإفلاك

بمجرد ان تُلقي نظرة عابرة عن حجم الزيارات الدولية للعراق ومستوياتها تجد ان العراق يسير بالأتجاه الصحيح ، فقد تكون الخطوات بطيئة لكنها ثابتة ومدروسة سلفاً .

(السلاح الفعال في الفعل السياسي هو الاقتصاد) ، والأسئلة الأساسية التي يجب أن تطرح في هذا المجال تستند في مجملها الى توظيف فلسفة الإدارة الأميركية الحالية والتي تؤكد عدم حماستها للتدخل العسكري الخارجي المباشر وميلها لأستبدالها بصفقات ذات طابع اقتصادي ، وهي فلسفة من الممكن أن تكون نقطة تحول في الفهم الأميركي لدور العراق الاستراتيجي في صنع التوازن في منطقة الشرق الأوسط المضطربة، بل يمكن لهذا الدور أن يتحقق فعلا عبر حلف استراتيجي حقيقي نواته الشراكات الاقتصادية والقواعد الاستثمارية لا العسكرية وفق خطوات ممنهجه مدروسة تبدأ ب :

الخطوة الأولى: التوجة نحو تأميم القرار العراقي وتعزيز استقلاليته عن الهيمنة السياسية الخارجية الاقليمية والدولية ، وهذه مهمة ليست مستحيلة لكنها تتطلب إدراكا" عميقا" لمعنى أن يتم التأسيس لدولة حقيقية في العراق بعيدا عن أخطاء سنوات الاحتلال وتركاته الكارثية .

ان ما فعله العراقيون عجز عنه الامريكان أنفسهم فالعراق خرج من ساحات حروب وليس ساحة واحدة ، فحروب العراق لم تُقتصر على الارهاب فقط بل تعدت ذلك كثيراً بعضها حروب سياسية داخلية وجزء منها صراعات طائفية مَبنيَّة على اطماع توسعية ، وأخرى حرب على آفة الفساد القاتل التي ألمت بموارد العراق الأقتصادية ، وصولاً الى النزاعات الأقليمية على خيرات العراق ، وما رافقها من تداعيات ساهمت في ضمور السياسة الخارجية العراقية فتحول العراق من لاعب أرتكاز في اللعبة السياسية الى ساحة للعب دول المنطقة والعالم بأسره .. لذا كان لابد من وقفة جديَّة لإيقاف تلك التداعيات والعمل على اعادة ترتيب اوضاع العراق كلاعب محوري مهم يستطيع ان يُدير شؤون الأقليم ويكون مرتكزاً تدور حولة الدول .. وهو ما ترجمته الأنطلاقة الثلاثية للرئاسات العراقية لتحقيق هدف واضح لديهم جميعاً الا وهو أعادة دور العراق كمركز اتزان ونقطة التقاء والنأي بالنفس من خنادق التمحور الأقليمي والدولي ، بل العكس كان من خلال أيصال رسائل مطمئنة للجميع ان العراق سيلعب دوراً مهماً في تفكيك المشاكل المتصاعدة بين الدول ضمن محيطه العربي والاقليمي كخطوة أولى وقد تكون المشكلة بين المملكة العربيةالسعودية وجمهورية ايران الاسلامية هي نقطة البداية !!!

ان تجاوز الرئاسات الثلاث للاشكالات السياسية والمشاكل المفتعلة التي اطاحت بجزء كبير من الجهود في فلك البحث عن تهدئة مابين السلطة التشريعية او التنفيذية او عمليه التمدد على صلاحيات رئاسة الجمهورية وتحويلها الى جماد لايضر ولا ينفع ، او تفعيل المختلف علية ليطفو الى السطح ويوظف اعلامياً لدرجة ان المتتبع للشأن العراقي يرى ان العراق لايمكن ان يغادر مستنقع الشلل الاداري وقوالب التفكير التقليدية التي وضع نفسهُ بها .. لذا اعتقد ان العراق قد تعافى وتجاوز تلك المرحلة وانتقل الى مرحلة العمل الجاد والدؤوب والفاعل لانتزاع دوره الفاعل والحقيقي في المنطقة ، وهذا ما عكسته الزيارات التي قام بها الاخ رئيس الجمهورية والاخ رئيس مجلس النواب وماسيتبعها من زيارات وبرامج عمل لاحقه تستكمل من خلال السيد رئيس مجلس الوزراء ماسبقه به اخوانه في الرئاسات ، وها نحن اليوم في العراق بدأنا نجني ثمار تلك الزيارات وبدأت الدول تتسابق لزيارتنا وتتنافس لتحقيق شراكات اقتصادية على جميع الاصعدة (الاستثمارية ، الصناعية الزراعية وحتى الأمنية) وبالتأكيد تلك الشراكات تحتاج الى بيئة آمنة ، وهو ما ستهتم الدول بالعمل عليه من اجل ضمان بيئة آمنة أقتصاديا" لشركاتها ورؤوس اموالها في العراق ، وبذلك يتحول الاقتصاد الى محور ادارة سليم وسينجح البلد من خلاله في القضاء على جميع المشاكل الخانقة (البطالة ، الفقر ، التسول ،الطلاق ، الآمن ، اعادة الاعمار ، مكافحة المخدرات وغيرها من الآفات والظواهر الفتاكة) وسيعود العراق كوكبا" حقيقيا" تتسارع كل الافلاك لتدور حوله طلباً لدور اقتصادي او سياسي في المنطقة .

هذا التحول الكبير على الرغم من ان تصحيح المسار المنحرف منذ سنوات قد يحتاج الى وقت الا ان المهم البداية السليمة ، واعتقد اننا وضعنا عربتنا على سكة الطريق الصحيح نحو مستقبل آمن ومستقر ومستقطب للجميع وغير محسوب على اي جناح او محور اقليمي او دولي .

كامل كريم الدليمي

بغداد

لتسلب أرضنا وليحيا السلطان

لن اتحدث هنا عن الوضع القانوني لقرار رئيس الولايات المتحدة الاميركية بشأن هضبة الجولان المحتلة ولا عن موقف الامم المتحدة او دول اوربية رفضت القرار كونه سابقة تؤسس لشرعنة احتلال ارض عربية .. فمقالي هذا قد يكون اقرب لقصة عن محنة امة منه الى التحليل فاستميح الصحيفة (الزمان) وقرائها العذر فالجرح عميق .

فهاهو ترامب يوجه صفعة اخرى بمحاولته اسباغ شرعية على احتلال الكيان الصهيوني للجولان .. صفعة قاسية لانظمتنا الصديقة ان لم نقل التابعة لهم والحليفة ولنا كأمة استمرأت النكسات وتعايشت مع المصائب ولم تعد تعرف غير البكاء والنواح على ما سلب من حقوق وضاع .. صفعة لم تكن الاولى وليست الاخيرة فقد سبقها اعترافه بالقدس عاصمة لهذا الكيان المغتصب من دون ان تتحرك انظمتنا ولا جامعتنا العربية باي رد فعل يتناسب وحجم المهانة والاستهانة للنظام العربي باجمعه من دون استثناء .. نظام ثقفنا على ان نتردد معه اناشيد واشعار البطولة والنصر ونحن نعيش اتعس هزائمنا .. وان نسبح بحمده ونشكره وهو يقمعنا و يكمم اصواتنا ويتفنن بقتلنا .. فصرنا لا نجيد غير التصفيق لجلادنا وقاتل ابنائنا وسارق قوتنا ! تصفيق حار لترامب فهو يعرف ان انظمتنا تشتري السلاح وهي اعجز من ان توجهه الى عدونا ، ولكي لايصدأ فانها توجهه الى صدورنا وتصطنع الفتن ليقتل بعضنا بعضا .. يرفع زعماؤنا سكاكين الغدر فنقبلها صانعين راضين فقد افتى علماؤنا بالطاعة العمياء لاولي الامر فهم سادتنا ! يا امتي من اين يأتينا النصر ونحن ساكتون عن ابسط حقوقنا فعذرا ياقدسنا وياجولاننا ويا كل ارض ضاعت ومرشحة لان تضيع فصمتنا عن كلمة حق لم نقلها بوجه اي سلطان جائرعار واي عار !ما نفع خيولنا ياسادتي وقد خلت اراضينا من الفرسان .. حقوقنا وارضنا المغتصبة يا امتي لا تعيدها شتيمة ترامب والصهاينة ، بل وقفة مع انفسنا ننفض عنها غبار الذل والهوان .. ما نحتاجه اكبر من ماض نتغنى به ولا نتعلم من دروسه العميقة واولها ان نصنع حاضرنا بالعلم والمعرفة ورفض الجهل والتضليل وان نفكر بالمستقبل بعيدا عن ثقافة الاتكال والكسل والمظاهر الشكلية وليكن شعارنا الاعمال قبل الاقوال لم يعد مقبولا ان نرضى سلب اراضينا ليحيا السلطان !. عقود ونحن نطرب لاغاني النصرمن دون ان نراه وشعارات فارغة تخدرنا على قبول الامر الواقع وتبريرات واهيةعن اسباب الهزائم منذ ما قبل 1948والى الان صدقناها، فجاءت 1967 وبعدها 1973 ومرة اخرى عشنا الوهم فصدقنا ما يقوله وعاظ السلاطين .. اليوم نحن نعيش اسوأ ما مرت به امتنا ، ليس بسبب ما قاله ترامب او سواه ، بل لاننا ما زلنا ندور حول اسباب هزائمنا ولا نسبر اغوارها ونغوص في اعماقها علها تهز وجداننا وتعيد لنا رشدنا وكأننا نخاف مواجهة الحقيقة ونهرب منها .. آن الاوان لصحوة شعبية نرفض فيها كل اشكال العبودية وتعلو اصواتنا من اجل حريات حقيقية واحترام راينا بلا وصاية سلطان اعتاد ان يعيش على فراش من نعيم ومواطنيه يقتلهم الجوع والمرض وهم يهتفون له عاش عاش !اين نحن من قول عنترة بن شداد : لا تسقني ماء الحياة بذلة بل اسقني بالعزكأس الحنظل برغم اننا نتحسر حتى على ماء الحياة في زماننا هذا !!

طارق الجبوري

بغداد

استطلاعات

المهر العكسي لزفاف النساء بطريقة مختلفة

بلدة هندية تصبح فيها الدعارة تقليداً متوارثاً

لندن - الزمان

رغم أن عائلات كثيرة في الهند لاتزال تفضل المولود الذكر، احتفل والدا الطفلة هينا بمولدها، لكن الاحتفال كان للسبب الخطأ.

فقد ولدت هينا ولدت في قبيلة باكشارا الهندية التي يدفع أهلها أكبر بناتهن إلى ممارسة الدعارة وهن ما بين سن 10و 12سنة، وهو تقليد متبع فيها منذ قرون. وعندما تكبر هينا تخلفها في العمل الأخت الأصغر سنا، وهكذا.

انتقل هذا التقليد من جيل إلى آخر وأصبح "تقليدا متوارثا ومقبولا"، ويعيش الذكور في تلك العائلات على ما تجنيه الفتيات الصغار من أموال مقابل ممارسة الدعارة.

وفي بعض الحالات يقوم الأب أو الأخ بدور القواد.

حتى حفلات الزفاف في هذه القبيلة الهندية تجري بطريقة مختلفة، إذ تطلب أسرة العروس مهرا كبيرا لابنتهن يشار اليه بـ "المهر العكسي".

أُعدت هينا لتسلك هذا النمط في الحياة منذ ولادتها، ثم أجبرت على ممارسة الدعارة وهي صغيرة، وقالت هينا لبي بي سي :"عندما أجُبرت على هذا، اضطررت إلى التوقف عن الدراسة، وأن أسير على نفس النهج الذي سارت عليه أمي وجدتي. كان عمري 15عاما فقط".

كانت هينا تمارس الجنس مع عدة زبائن كل يوم، ويتنوع زبائنها من الأغنياء في المناطق الريفية إلى سائقي عربات النقل الثقيل.

شعور بالغضب

وعندما بلغت هينا سن 18 أصبح لديها الوعي لفهم ما يدور من حولها: "أدركت أنني على خطأ وشعرت بالغضب، ولكن هل لدي خيارات؟ كيف ستعيش أسرتي إن لم أحصل على المال بهذه الطريقة؟".

وتسكن قبيلة باكشارا في منطقة نائية فقيرة في الهند، وأهلها يعانون من الفقر ويعتمدون على النساء لتحسين أحوال الأسرة المعيشية.

ويقول أكاش تشوهان، منسق إحدى المنظمات المحلية غير الربحية: "تصل نسبة البنات الصغيرات دون السن القانونية اللواتي تمارسن الدعارة إلى نحو الثلث".

وينتشر سكان هذه القبيلة، وهم من القبائل الرحل، في ثلاث مناطق في ولاية ماديا براديش وسط الهند، وهم غالبا ما يعيشون في مناطق ريفية على جانبي الطرق السريعة حيث يتوقف سائقو عربات النقل الثقيلة للراحة.

وعادة ما تنتظر الفتيات الصغيرات والمعروفات بـ "خلاواديس" أو "الفتاة اللعوب" في أسرّة مصنعة من الحبال في مجموعات أو بمفردهن لاجتذاب الزبائن.

وعادة ما توجد أكشاك صغيرة على جانبي الطريق للتفاوض مع المسؤول الرئيسي عن الفتاة، وغالبا ما يكون أحد أعضاء أسرتها، ويعقد صفقات مع الزبائن تتراوح بين 100 و 200 روبية هندية أي ما يعادل (1.45 دولار 2.80 دولار) لكل زبون.

ويقول بعض السكان المحليين إن ثمن الفتاة العذراء هو الأعلى، حيث يصل إلى نحو خمسة آلاف روبية هندية أي ما يعادل (75 دولارا).

وأضافت هينا لبي بي سي: "حوالي 4 أو 5 رجال يأتون كل يوم أثناء النهار، أما في الليل فنذهب إلى الفنادق أو أماكن قريبة. دائما ما كانت هناك مخاطرة بانتقال عدوى الأمراض إلينا".

وقد أظهرت صحيفة محلية خطورة الإهمال الطبي، وأشارت الإحصاءات التي نشرتها إلى أن 15 في المئة من عينات الدم التي جمعت من نحو 5,500 من سكان المنطقة أظهرت أنهم يحملون فيروس نقص المناعة المتكبسة (الإيدز).

وبعض الفتيات أيضا تحملن ويصبح لديهن أطفال، وهذا ما حدث مع هينا التي أنجبت طفلة، وأجبرت على مواصلة العمل بشكل أكبر في مجال الدعارة، وتقول :"ينتهي الأمر بكثير من الفتيات بالحمل ويجبرن على ممارسة الدعارة حيث يفترض أن يعملن أكثر للحصول على المال من أجل تربية أطفالهن".

وبالاضافة إلى إجبارهن على ممارسة هذه المهنة، تمنع تلك الفتيات من الزواج من القبيلة أو المجتمع اللواتي تربين وكبرن فيه.

لكن هيناتمكنت أخيرا من الخروج عن هذا النظام بمساعدة منظمة محلية غير ربحية، مؤكدة أن الفتاة التي تمر بمثل هذه التجربة البشعة، هي فقط التي تتفهم حجم المعاناة، وقالت: "أعرف المشاعر المصاحبة لذلك، وأريد المساعدة لوضع نهاية لها".هناك نظريات عدة ترتبط بمنشأ هذا التقليد المتبع، إحداها تكمن في معاناة القبائل الرحل من أجل الحصول على أموال، خاصة أنها تعيش خارج النظام المعمول به للآخرين، فوجدت في هذه الطريقة السبيل الوحيد لكسب العيش والتغلب على الفقر.

ماذا يقول القانون؟

إن تفضيل الأسر الهندية للمولود الذكر على الأنثى، أي الأبناء على البنات، غير نسبة الذكور إلى الإناث بشكل خطير في الهند، لكن المشكلة هنا انقلبت رأسا على عقب.وهناك أسباب للأعداد المتزادية للفتيات، وهي تشغيل الفتيات الصغار في هذه المناطق كعاملات جنس بشكل غير شرعي إذ أنهن دون السن القانونية.

ويقول مانوج كومار سنغ، مفتش في الشرطة الهندية لبي بي سي: "لقد أنقذنا 50فتاة صغيرة في الأشهر القليلة الماضية"، وأضاف :"لقد وجدنا في الحملة الأخيرة بنتا تبلغ عامين فقط، وهي في طريقها الآن إلى بيت من بيوت رعاية الأطفال."

ورغم مداهمات الشرطة المتواصلة فإنه لا يمكن التغلب على هذا التقليد الموروث إلا بزيادة التوعية في المجتمع، كما يقول المسؤول في الشرطة الهندية.

وأصدرت ولاية، مادهيا براديش، التي تعيش فيها قبيلة باكشارا قانونا يعدم بموجبه أي شخص يغتصب طفلا تحت سن 12 كما أطالت مدة السجن للبالغين الذين يمارسون الجنس مع فتيات تحت سن 18 وهو السن القانوني في الهند.

لكن هذه التدخلات من السلطات الهندية لم تساعد في حل المشكلة.

تقليد موروث

في عام 1993 قُدمت خطة للقضاء على هذا التقليد الموروث لممارسة الدعارة لدى أهالي باكشارا لكنها لم تنفذ بشكل كلي.

وتقول راجيندرا ماهاجان، مسؤولة في قسم الرعاية الاجتماعية للنساء والأطفال: "في كل عام، نعلن عن حاجتنا لهيئات غير ربحية لمساعدتنا في تنفيذ الخطة، لكن حتى الآن لم تنجح أيا منها، حسب المعايير التي وضعناها".وستركز هذه الخطة على إعادة تأهيل النساء اللواتي مررن بهذه التجارب من خلال التعليم والصحة ورفع درجة الوعي. لكن بمساعدة الحكومة أو بدون مساعدتها فالتغيير سيحدث ببطء.

إن بعض الفتيات الصغار في هذه القبيلة الآن يتحدون العادات والتقاليد ويبحثون عن عمل في أماكن أخرى، والبعض الآخر يواصل التعليم، كما أن هناك مبادرات من قبل منظمات محلية تساعدهم على تحقيق ذلك.وهينا الآن جزء من هذه المبادارت، بل هي تعمل في الهيئة غير الربحية التي أنقذتها في عام 2016 وتقول :"أساعد البنات الأخريات ليعرفن أن بمقدروهن الحصول على الدعم والتخلي عن هذه المهنة. سأبذل قصارى جهدي للمساعدة".وتدير الهيئة غير الربحية مركزا للتدريب يوفر التعليم المجاني للفتيات دون السن القانوني، وحسب هينا فإن الفتيات تجبرن على ممارسة الدعارة لأن ليس لديهن أي وسيلة أخرى أو وظيفة لكسب العيش، وأن التعليم يمكن أن يساعدهم في التقدم إلى الأمام.

ممارسة: في هذه المنطقة من الهند يجبر الآباء بناتهم على ممارسة الدعارة